فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

غض البصر والخوف من الله

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-77191.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسولِ الله وعلى آلهِ وصحبهِ ومن والاه، أما بعد:

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

يُروَى أنَّ شابًا عربيًا فقيرًا كان على دين وخلق، وكان من عادته أنه يغضُّ البصر ولا ينظرُ إلى المُحرَّمات، كان هذا الشاب يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يصعد إلى طابقٍ معين في إحدى ناطحاتِ السَّحاب، ويوجدُ في هذه الناطحة فتاة جميلة جدًا معروفةٌ بينهم بجمالِها وتلبسُ لباسًا فاتنًا فيه تبرُّج شديد، وإذا صَعِدَ هذا الشاب العربي معها في المصعد لم يكن ينظرُ إليها كما ينظرُ إليها جميعُ الرجال الذين حولَها وهي تستغربُ منه بسبب ذلك!.

المهم.. في يومٍ من الأيام وفي طابقٍ معين نزلَ كلُّ الأشخاص، فبَقِيَ هذا الشاب وحده إلى جانب هذه الفتاة الأمريكية الحسناء، ولما وجدت أنها بَقِيَت وحدها مع هذا الشاب الغريب الأطوار –بالنسبةِ لها– شَعُرَت بالارتياب، واستمرَّ الشاب العربي بالنظرِ جانبًا مُبعِدًا عينَهُ عنها وبقيت مُحتارةً منه إنه لا ينظرُ إليها أبدًا! ومن المُعتاد عندهم في الغرب أنهم يَمزحون حتى مع الشخص الذي لا يعرفونه.

فسألت الفتاة الشاب العربي تقول: لماذا تلتفت إلى الناحيةِ الأخرى، ألهذه الدرجة أنا لستُ جميلة في نظرك؟!، فقال: لا أدري إذا كنتِ جميلة أم لا!

فقالت له: ولماذا لا تدري؟، فقال: لأني لا أنظرُ إليكِ أصلاً.

فقالت: ولماذا لا تنظرُ إليَّ ؟، لماذا لا تقترب من النساء في المصعد كما يفعلُ باقي الرجال؟!، قال: أعوذ بالله إني أخاف الله تعالى.

قالت: هل دينُك هو الذي يمنعك من أن تنظر إليَّ؟، قال: نعم، فأرادت أن تتعرَّفَ على هذا الدين أكثر، أرادت أن تُسلِم ولكنها في نفس الوقت مالَ قلبُها إليه؛ لأنها مُعجبةٌ به وبوفائِه، وأرادت أن تكونَ على علاقةٍ معه كما تفعلُ النساء في مُجتمعاتِهم ولكنه لا ينظرُ إليها أصلاً، فلمَّا فاتحته بذلك أخبرَها أنه لا يرتبطُ بامرأةٍ إلا بالحلال، فلم يكن لديها مانع إذا كانت ترضى بالارتباط بالحرام فلن ترفضَ الارتباط بالحلال، وكانت فتاة ثريّة فأسلمت وأحبته حبًّا شديدًا لدرجةِ أنها كانت تُسجِّل جزءًا من ثروتِها باسمه.

سبحان الله انظروا كيف أنَّ العلاقات في العادة تبدأ بسبب النظر، وهذه العلاقة بدأت بسبب غض البصر!، فماذا كانت النتيجة؟!..

رَزَقَه الله زوجةً جميلة، ورزقه ثوابَ إسلامِها، وأغناه اللهُ تعالى بالمال بعد أن كان فقيرًا مُغتربًا. قال الله تعالى:

"وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" الطلاق٢: ٣

كيف نعصي الله بنفس النعمة التي أنعم بها علينا؟!

غضُّ البصر في عينٍ كثيرٍ من الناس شيء صعب ومُر. كم من شابٍ احترقَ قلبُه وأحسَّ بألمٍ بسبب النظر للمُحرَّمات؟! كم من مُتديِّن تركَ التزامَه وتدينَه بسببِ تساهلِه بالنظرِ في الخلوة حتى قلَّت هيبةُ المعاصي في قلبِه؟ كم من امرأةٍ صَغُرَ زوجُها في عينِها لكثرةِ ما تشاهدُه من أدوارِ الممثلين الوسيمين العاطفيين الذين يعيشون بشاعرية مع مَحبوباتِهم في المسلسلات والأفلام فترى أنها تعيشُ في نقصٍ وأنَّ زوجَها مُقصِّر؟، بل حتى الزوج يتخيَّل دائمًا أنه يحتاجُ إلى زوجةٍ ثانية وأنَّ زوجتَه ليست جميلة؛ بسببِ أنه طوالَ الوقت يشاهد أفتن الفاتنات فأمرٌ طبيعي أنه سيرى زوجتَه غير جميلة، إنه من المُخجِل أن نعصيَ اللهَ تعالى بنفسِ النعمةِ التي أنعمَ بها علينا.. مع أنه حَرَمَ البصر من غيرِنا وأعطانا إياه، فكيف يُعطينا اللهُ نعمةَ البصر ثم لا نعصيه إلا بنفسِ النعمةِ التي أنعمَ الله بها علينا "هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" الرحمن: ٦٠

وفوقَ هذا كلِّه فإنَّ أكثرَ مَن يتأذَّى نفسيًّا بهذا النظرِ هو أنت؛ لأنك ترى شيئًا ولا تستطيعُ أن تصلَ إليه، هذا عذاب!، وكلَّما نظرتَ أكثر زادَت رغبتُك أكثر.

بعضُ الفتيات تشاهدُ في التلفاز شخصية تُعجَبُ بها، حتى لو لم يكن وسيمًا.. إنها تتعلَّقُ بشخصيتِه، فبما أنها تستمرُّ بالمتابعة وتنظرُ وتتأمل فإنها ستتعبُ أكثر. إنَّ كثيرًا مِن الذين ينظرون إلى المُحرَّمات يظنُّون أنهم عندما يستمرُّون بالمشاهدة فإنَّ ذلك سيروي عطشَهم وسيُسعِدُهم.. وهذا وَهْم، واللهِ يتوَّهمون أنَّ ذلك يُخفِّف عنهم!.

من الذي يتألم أكثر؟!

الآن لو وضعنا شخصين في سجن، المسجون الأول منعنا عنه الطعام فقط والمسجون الثاني وضعنا الطعامَ أمامَ عينيه خارج الزنزانة يراه ويشمُّ رائحتَه ولكنه لا يستطيعُ أن يأكلَه.. من الذي سيتألم أكثر الأول أم الثاني؟ طبعًا الثاني، لا شكَّ أنه سيتألم أكثر.

فإذا زادَ الرجلُ من هذا النظر فإنه سيتعب، وإذا زادَت الفتاةُ من هذا النظر والتعلق به فإنها ستتعب.

قال ابن القيم –رحمة الله عليه–: "النظرةُ سهمٌ مَسموم من سهام إبليس، والنظرة الثانية أشدُّ سُمًّا فكيف نتداوى مِن السُّمِّ بالسُّم!"، ثم قال –رحمة الله عليه–: "ولو أنه غضَّ بصرَه مِن أولِ نظرة لاستراح".

إي والله، بعضُهم لا يتركُ شارِدَةً ولا واردَةً إلا نظرَ إليها، ينظرُ إلى كلِّ ما يُفتِنه في الفضائيات وفي الإنترنت وفي الشارع وفي كل مكان ولا يمتنعُ عن أيِّ شيءٍ!، يا أخي ارحمْ نفسَك.. ارحمْ نفسَك.. واللهِ قلبُك لا يستحملُ ذلك.

أيا عيناي كُفَّا عن فؤادي فإنه مِن الظلمِ سَعْيُ اثنين في قتلِ واحد!

قاعدة هامة:

لو سمحت احفظ هذه القاعدة المهمة.. احفظها.. الصبرُ على ما قبل النظرة أسهل بكثير من الصبر على ما بعد النظرة .. ماذا يعني هذا الكلام؟

كلُّنا يعلم أن مقاومةِ النظر إلى المُحرَّمات يحتاجُ إلى صبر وهذا الصبر مؤلِم، ولكنني لو نظرت إلى المُحرَّمات والشهوات فإنني سأحتاجُ بعد ذلك إلى أن أصبرَ على نفسي.. لماذا؟

لأنني أثرتُها بمناظر لا أستطيع الوصول إليها، وهذا يؤلِم أكثر بأضعاف مضاعفة مما لو أني صبرتُ في البداية صبرًا بسيطًا فلم أنظر وانتهى الأمر، ففعلاً، ألم ما بعد النظر أصعب من ألم غض البصر. إنَّ الذين يغضُّون أبصارَهم ويبتعِدون عن الشهوات المُحرَّمة هم أريحُ الناس نفسًا وأشرحُهم صدرًا، لا يتعبون بالسِّهرِ والتفكير ليلاً، ولا يتألمون بالنظرِ نهارًا، فهم مُرتاحون وراضون ومَرضيُّون. أرضَوْا ربَّهم وأراحَوْا نفسَهم فمَن مِثلَهم؟!.

ثمرات غض البصر:

هل تظن أنَّ أعلى شيءٍ يصِلُ إليه أنه مَن غضَّ بصرَه هو أنه سيرتاح؟!

لا، إنَّ سقفَ امتيازاتِه أعلى من ذلك بكثير وأنا لا أقصدُ ما يحصلُ عليه في الآخرة، بل ما يحصلُ عليه نفسيًّا في الدنيا قبل الآخرة، إنه ليس فقط سيرتاح، بل إنه سيجِدُ لذة في صدرِه يُعطيها اللهُ إياه فَوْرَ غضِّه للبصر، والذين يغضُّون أبصارَهم يعرفون عن ماذا أتكلمُ أنا الآن، وهذا ليس بغريبٍ عن اللهِ –عزَّ وجل– أن يُعطيَك لذةً في صدرِك هي أحلى من لذةِ النظر.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : "إنك لَن تدَع شيئًا للهِ عزَّ وجلَّ إلا بدَلك اللهُ به ما هو خيرٌ لكَ منه" صححه الألباني

سيُعطيه الله –عزَّ وجل– الراحة من عدم التفكير بالشهوة وأيضًا سيُعطيه فوقَ ذلك سعادة في قلبه لأن الله تعالى قال: "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ" النور: ٣٠، أزكى لهم يعني أطهرُ وأفضل، وصدقَ ربُّنا والله .. هو أزكى لهم، بل لا يوجدُ شيء أزكى مما قال الله تعالى عنه أنه أزكى، "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً " النساء: ١٢٢، "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً" النساء: ٨٧

كيـــف سأرتاح وأنا لم انظر؟!

قد يقولُ قائل: كيف يكون غضُّ البصر أسعدُ لي.. أنا ما نظرت؟!، النظرُ شهوةٌ ولذة، فكيف لي أن يكونَ عدم النظر لذة وأنا أصلاً ما نظرت؟!. سأضربُ لك مثالًا: فلنفرض الآن لو وُجِدَ شخصان صائمان في نهارِ رمضان، أحدُهما شربَ شربةَ ماءٍ واحدة ما أشبعتُه ولا أغنتُه لكنه أفطرَ في رمضان، والآخر بقي صائمًا.. مَن منهما سيفرحُ عند الإفطار؟

الآن كلاهما جائع ولم يأكل؛ لكن هذا صيامُه صحيح، وهذا صيامُه غير صحيح، مَن الذي سيفرحُ عند الإفطار؟ لا شكَّ أنه الصائم، كما قال –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "للصائمِ فرحتان فرحةٌ عند فطرِه وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه " صحيح البخاري

هذا أمرٌ خارج عن حدودِ الحسابات الرقمية، هذا أمرٌ روحانيّ ربانيّ فكذلك الذي يغضُّ بصرَه والذي لا يغضُّ بصرَه، كلاهما لم يحصل على شهوتِه كاملة، لكنَّ الأول يعيشُ في راحة، والثاني يتألم.. والاختيار لك في النهاية.

كثيرٌ من الناسِ بعد هذا يريدُ أن يعرف الحل.. ما هو الحل؟ ،كيف أستطيع أن أغضَّ بصري؟

توجدُ خطواتٌ معينة يمكنُك أن تفعلَها وستساعدُك على غضِّ بصرك ولن يكونَ بعدَها غضُّ البصر صعبًا بالنسبة إليك بإذنِ اللهِ تعالى، أبشِرْ ولكن أرجو أن تتابِعَنا في الحلقةِ القادمة.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36